ملف

تثير الاحداث الجارية في ايرلندا الشمالية الى مدى بعيد التفسخ والانحطاط اللذين سريا في جسد « الامبراطورية العجوز « الامبراطورية البريطانية » ويطرح مجموعة هامة من الاسئلة التي لا زالت الاجوبة عليها تتسم احيانا بضرب من السطحية والتخبط وكما هي الحال في الصراع الهندي ـ الباكستاني يحاول البعض ابراز الصراع « الديني » بين الكاثوليك والبروتستانت كسبب وحيد واساسي للصراع مهملين العنصر « الجوهري » وهو الروح الاستعمارية الاستغلالية البريطانية التي استثمرت الصراع الطائفي كستار لبقائها واستمرار مصالحها

ايرلندا : معلومات عامة

تبلغ مساحة ايرلندا ٨٤٠٠٠٠ كيلو متر مربع وهي ثاني جزيرة في الارخبيل البريطاني تقع غربي بريطانيا ويفصلها عنها بحر ايرلندا في الوسط وقناة الشمال في الشمال وقناة سان جورج في الجنوب . ومن الجهة الشمالية هناك ٢٣ كيلومترا تفصل السواحل البريطانية عن سواحل ايرلندا وفي الجنوب هناك حوالي ٧٥ كيلومترا .

وبتحدر الايرلنديون من حضارات « الكلتس » وقد قاموا على مر العصور بدفع غزوات الرومان والدنماركيين والنرويجيين . بدأ الاستيطان البريطاني لايرلندا سنة ١١٥٥ (١) .

عندما منح احد باباوات القرن الثاني عشر ايرلندا لانكلترا سمت لعدة قرون بعد ذلك على توطيد سيطرتها على القبائل « الغيلية » المحاربة التي استمرت في المقاومة ولكن لندن لم تصمم على تركيع ايرلندا وكاثوليكيها العنيدين الا في عهد « الاصلاح الديني » فجرى « زرع » مستعمرات انكليزية بسفك دماء غزيرة وصلت الى حد ان الانكليز كانوا يعرون الفلاحين الايرلنديين ويرمون بهم في المستنقعات لتسلية الغزاة .

ووجد الانكليز صعوبة في اخضاع اولستر « ايرلندا الشمالية » اكثر من اي قسم اخر في البلاد . فقد نجح « هيو اونيل » و « ريدهيو اودونيل » بمساعدة الاسبان في مقاومة عملاء الملكة اليزابيث واتباعها لاكثر من عشر سنوات لكنهما استسلما عام ١٦٠٣ بعد معركة « كينسيل » وقاد اونيل زعماء الكاثوليك في « هرب الايرلات » الى اليابسة الاوروبية تاركا اولستر مفتوحة « للزرع » الاستعماري الشائن عام ١٦٠٨ ، فقد صودرت اراضي الايرلات الشاسعة واعطيت للمستعمرين الانكليز والاسكوتلانديين الذين تعهدوا بدورهم ان يسكنوا فيها مزارعين بريطانيين بروتستانت .

وبدا ملاكو الاراضي الجدد هؤلاء السيطرة الاجتماعية والاقتصادية الفئة على كاثوليكيي اولستر .

وفي عام ١٦٨٩ نزل في ايرلندا ملك انكلترا الكاثوليكي المنفي جيمس الثاني ليقاتل من اجل استعادة عرشه من وليم اوف اورانج . لكن جيمس فشل في الاستيلاء على لندنديري على الرغم من حصار دام ١٠٥ ايام وفي اليوم التالي في معركة « البوين » هزم اخيرا وفر الى فرنسا ، وبحلول عام ١٧٠٠ كان الكاثوليكيون لا يملكون الا « سبع » اراضيهم . وهكذا فان العداوة التي وجدت بين « المزارعين » الاسكوتلانديين والانكليز المستوردين من جهة وبين ابناء البلاد الاصليين الغيليين المضطهدين تعمقت بالحقد الديني بين الكاثوليك والبروتستانت كما اشارت مجلة « تايم » .

غير ان اسوأ المحن كانت القوانين « الجزائية » التي صادق عليها البرلمان في « دبلن » لتامين استمرار تسلط وتفوق الاقلية البروتستانتية هذه القوانين وصفت بحق بانها « كريهة ومشينة » .

فقد كان الكهنة الكاثوليك يدمغون على الخد بحديد حام لدرجة الاحمرار اذا امتنعوا عن تسجيل اسمائهم واسماء ابرشيائهم . واستبعد الكاثوليك من الحياة السياسية ومنعوا من تلقي العلم في مدارسهم ولم يكن يسمح لهم بالزواج من البروتستانت او شراء ارض من بروتستانتي او حمل السلاح او امتلاك حصان يساوي سعره اكثر من دولارين . هذه القوانين افقرت كاثوليكيي اولستر فصاروا مستعدين للعمل في المزارع باجور ادنى من اجور الفلاحين البروتستانت . وفي معركة « دياموند » بمقاطعة « ارماغ » عام ١٧٩٥ انهال الفلاحون البروتستانت بالضرب على العمال الكاثوليك وفي وقت لاحق اسسوا « محفل اورانج الاعظم » في اولستر . وسرعان ما تكاثرت المحافل في جميع انحاء البلاد وارسلت رعاع البروتستانت للتفتيش بالكاثوليك . وفي النهاية اسس الكاثوليك جماعات ارهابية خاصة بهم (٢) .

في القرن السابع عشر صار في ايدي الكاثوليك (السكان والملاكين الاصليين) اقل من ٥٪ من اصل ٨ ملايين هكتار من اراضي ايرلندا واصبحوا مستاجرين وعاملين لدى الملاكين الانكليز والاسكوتلانديين البروتستانت المستوردين . فالبروتستانت غزوا واستعمروا الاراضي الايرلندية الغنية . وعبر نضال شاق توصل الايرلنديون في مطلع القرن العشرين الى كسب جزء من المعركة في سبيل الاستقلال. ففي عام ١٩٢٢ اضطرت بريطانيا للاعتراف بـ « دولة ايرلندا الحرة » ولكن الاستقلال لم يكن شاملا (٣) .

فلقد ادى النضال الواسع للشعب الايرلندي الى اقناع بريطانيا بانه ليس من الممكن في المدى البعيد السيطرة على ايرلندا من لندن .

وبدا الحكم الذاتي وشيكا فخاف البروتستانت في اولستر على مستقبلهم في ايرلندا ، التي تضم اكثرية كاثوليكية ، فوضعوا مسودة دستور خاص لهم واقسموا على مقاتلة البريطانيين من اجل حق البقاء كبريطانيين . وكان الجيش الجمهوري الايرلندي قد تاسس فخاض حرب عصابات دموية حتى نالت ايرلندا الاستقلال اخيرا عام ١٩٢١ .

فقسمت ايرلندا الى الست والعشرين ولاية التي تؤلف « دولة ايرلندا الحرة » في الجنوب والست ولايات التي تؤلف « دولة ايرلندا الشمالية » (٤) .

وهي : انتران ، ارماغ ، دون ، فرماناغ ، لندندبري وتيرون .

اما مساحة الجمهورية الايرلندية فتبلغ ٧٠٢٨٠ كيلومتر مربع ، بينما ايرلندا الشمالية تبلغ ١٤٠١٤٦ كيلومتر مربع (٥) .

اقتصاديات ايرلندا واهميتها

اقتصاد ايرلندا الشمالية زراعي في معظمه : هناك ٩٠٤٠٠٠ مزرعة مخصصة لزراعة القمح والشوفان والشعير والبطاطا والشمندر والكتان ، وهناك مراكز لتربية الابقار والخرفان والخنازير والطيور الداجنة التي تصدرها ايرلندا الشمالية الى بريطانيا .

وبشكل خاص بنمو قطاعان من الصناعة : النسيج (الصوف) والصناعة البحرية (ذات الوضع الصعب حاليا) . اما صناعة الالات لصناعة النسيج فهي في ذروة ازدهارها . وبلفاست مرفا هام تتمركز فيه معظم المراكز الصناعية . وتتقاضى شغيلة ايرلندا الشمالية ادنى الاجور المملكة المتحدة . وليس بمستطاع الجماهير العاملة الكاثوليكية ان تطمح الى غير الاعمال المتواضعة جدا والاقل اجرا نظرا الى ان الافضلية للبروتستانت . وهذا التمييز يدفع الكاثوليك للهجرة ويضمن اغلبية بروتستانتية في البلد . والنساء يعانين التمييز اكثر من الرجال فاجورهن لا تساوي نصف اجور الرجال . وبريطانيا تمنح ايرلندا مساعدة سنوية تتراوح بين ٢٤٠ و ٤٤٠ مليون دولار .. والتغلغل الاميركي الشمالي كبير في ايرلندا الشمالية . فقد ثمرت عدة شركات ، منها : غودير اميركان تواكو ، فورد ، انترناشيونال تلفون اند تلغراف ، اكثر من ٢٠٠ مليون دولار . ومن جهة ثانية يرفرف العلم الاميركي فوق ثلاث قواعد بحرية .

اما جمهورية ايرلندا التي تشغل الجزء الاكبر من اراضي الجزيرة فان وضعها اسوأ من وضع المستعمرة البريطانية الصغيرة . فقد تطورت فيها زراعة تربية المواشي بشكل اسرع من تطور الصناعة لانها لا تملك عمليا مواد اولية . وهي تزرع بشكل خاص القمح والشوفان والشعير والبطاطا والشمندر . وهناك حوالي مليوني هكتار للمراعي .

وصناعة الصيد مهمة فيها ولكن بالرغم من الجهود الحكومية لم تطور الصناعة بشكل كاف . الا ان صناعة الحليب شهدت ارتفاعا ومصانعها مشهورة في كل المملكة المتحدة وعلى هذا فهي تستورد كميات كبيرة من اللحم الانكليزي . وتجارتها الخارجية ناشطة ولكنها تابعة بنسبة ٦٠٪ لبريطانيا الامر الذي يجعل ميزانها التجاري في عجز (٦) .

لقد تحول الجنوب (جمهورية ايرلندا) الى مزارع انكليزية لتربية المواشي . وبالتالي الى منطقة مصدرة للمواد الغذائية والايدي العاملة الرخيصة الى السوق الانكليزية مما ادى الى افقار البلاد وتوالي المجاعات وهجرة قسم ضخم من السكان الى العالم الجديد (اميركا الشمالية) . وقد وصلت الازمة الى درجة من التفجر اضطرت معه بورجوازية ايرلندا الجنوبية خوفا من ثورة الفلاحين ضدها للمطالبة بالحكم الذاتي .

... وبعد سلخ اولستر عن ايرلندا المستقلة اصبحت هذه هي الجزء الوحيد من ايرلندا الذي شهد نمو طبقة متوسطة مدنية بالمعنى الفعلي . فقد سمحت بريطانيا للمنطقة تتصنع وسنت لها سلسلة من القوانين التي تمنع الكاثوليك من مزاحمتها وازدهرت بتاثير ذلك صناعات الكتان ـ ربما لانها لا تنافس صناعة انكليزية ـ ثم قامت صناعات اخرى مثل بناء السفن في بلفاست وصناعة القمصان في ديدي . ولكن برغم الازدهار النسبي الذي نما في ظل سيطرة البروتستانت تبقى بريطانيا المسيطرة الاساسية على الاقتصاد في اولستر فالانتاج في هذه المنطقة ينخفض او يزداد بحسب متطلبات السوق الانكليزية وكذلك تعطى القروض من قبل المصارف اللندنية اولا تعطى للصناعات للاسباب نفسها . عدا ذلك فان صناعة اولستر متمركزة بمعظمها في بلفاست على الشاطىء الشرقي المواجه للجزيرة البريطانية وذلك بهدف تسجيل الامور امام التجارة الانكليزية (٧) .

وتقدر الشركات الاجنبية العاملة في البلاد بـ ٢٥٠ شركة معظمها بريطانية وبينها ٣٠ شركة اميركية و٧ شركات المانية وقد اوجدت هذه الشركات ٧٠٪ من الاعمال التي استجدت بين سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦ .. وايرلندا تستورد ٥٠٪ من البضائع من بريطانيا وتصدر لها ٧٠٪ من صادراتها .

وبلغ الانتاج القومي العام لشمالي ايرلندا ٦٥٠ مليون جنيه استرليني في السنة ، بينما يبلغ دخل جمهورية ايرلندا ١٢٠٠ مليون جنيه .

وهكذا فان الشمال يعيش في مستوى معيشة ارفع من الجنوب بالقياس الى عدد السكان (عدد سكان ايرلندا حاليا ٤٠٣٦٨٠٧٧٧ منهم ٢٠٨٨٤٠٠٠٢ في الجمهورية الايرلندية والباقون وهم اقل قليلا من مليون ونصف المليون في ايرلندا الشمالية) (٨) .

الوضع الاجتماعي ـ السكاني :

يتميز الكاثوليك في اولستر بزيادة نسبة المواليد بالنسبة للبروتستانت مع العلم ان نسبة المواليد السنوية في مجموع ايرلندا الشمالية هي ٢٢٠٤ بالالف ، وفي بريطانيا هي ١٧٠٢ بالالف . ولكون نسبة الكاثوليك آخذة في الارتفاع فقد اضحى من المنتظر ان يصبحوا قريبا الاكثرية في البلاد ، وللافي هذه الحالة قامت حكومة بلفاست بايجاد تمييز سياسي واقتصادي دون رحمة ، منذ العشرينات من هذا القرن . وكانت نتائج التمييز في المساكن وفي العمل ان ساد الفقر الاقلية الكاثوليكية ومنعت من التملك في البلاد ودفعت دفعا الى الهجرة الى الخارج (٩) .

ان زيادة السكان والهجرة التي رافقت الاضطهاد الانكليزي يمكن ملاحظة حجمها بذكر ارقام زيادة ونقصان السكان .

ففي عام ١٨٠١ كان عدد سكان ايرلندا ٥٠٣١٩٠٨٦٧ نسمة ، وفي عام ١٨١١ : ٦٠٨٤٠٩٩٦ نسمة ، وفي عام ١٨٢١ بلغ ٦٠٨٦٩٠٥٤٤ نسمة وفي سنة ١٨٣١ بلغ ٧٠٨٢٨٠٢٤٧ نسمة ، اما في عام ١٨٤١ فقد بلغ عدد